الفصل السادس

الانتماء.. والشباب والتعليم والدين

الانتماء مشكلة من مشاكل الشباب.

هجرة الشباب والانتماء.

ضعف الشعور بالانتماء.

معوقات الانتماء الوطنى.

التعليم.. والانتماء.

المنظور الدينى للانتماء.

رأى الدين فى الحب والانتماء.

الانتماء الدينى أقوى الانتماءات.

الإسلام وتعزيز الانتماء.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل السادس
الانتماء.. والشباب والتعليم والدين

الانتماء مشكلة من مشاكل الشباب

تعتبر هذه من القضايا التى لا يجب إغفالها على الإطلاق فهى من أخطر القضايا المؤثرة فى المجتمع فإذا فقدنا الرؤية الواضحة ولم ننتبه لخطورة هذه الظاهرة وكيفية التعامل معها بالحكمة والحوار الهادئ والوسيلة الصحيحة فسوف نعانى فى القريب العاجل من تفاقم هذه الظاهرة ويصبح لدينا مجموعة من الشباب فاقد للهدف والانتماء، تتحول طاقته إلى جهود مبعثرة ومستهلكة فى وسط الضغوط والأمور الحياتية وأصبح فاقد للإيمان بالقيم والمثل العليا التى آمنا بها منذ القدم. إن قلب هذا الجمع الهائل من الشباب به طاقة مثمرة لذاتها وللمجتمع الذى تحيا فيه، ولذا يجب علينا الانتباه لهؤلاء الشباب والاهتمام بهم ورعايتهم لنجعل منهم دعامة المستقبل ووسيلة لتغيير ما يسود مجتمعنا من سلبيات.

فإذا كان لدينا الرغبة فى التغيير نحو الأفضل فلا بد على التركيز على الشباب والاستفادة من قواه وجهوده فى عمليات الإصلاح الاجتماعى والاقتصادى والثقافى وفى سائر المجالات الأخرى لأن التغيير يوافق طبيعة الشباب ويرضى تطلعاته ويحقق طموحاته وأن أى خطأ فى الوسيلة المستخدمة لتوجيه جهود الشباب سوف يؤدى إلى حدوث نتائج عكسية فلا بد من البحث المتعمق لنفسية هؤلاء الشباب ومحاولة مراعاة ظروفهم إيجاد حلول لمشكلاتهم التى تقودهم نحو نبذ القيم والتقاليد والعنف والخروج عن المألوف والصراع لإثبات الذات لدرجة قد تدفعهم نحو الثورة العمياء على كل شىء ورفض السلطة بكل أشكالها ومحاولات التمرد.

ومن أكثر المشكلات التى تؤثر على الانتماء لدى الشباب ما يلى:

أولًا: التناقض بين القيم والمجتمع:

يقابل الشباب فى المراحل العمرية المختلفة العديد من المفاهيم المختلفة عن القيم

والمثل العليا بدءًا من البيت فالمدرسة ثم المجتمع، وهذا بالطبع يؤثر على توجيه السلوك لوجهة معينة، فالشباب يتلقى موروثًا ضخمًا من التعليم والقيم، إلا أنه يقابل بما يناقض ذلك فى البيت أو المدرسة نفسها، وبالطبع فى المجتمع الذى يعيش فيه، فهو يجد دائمًا التناقض بين التقاليد الموروثة والحياة التى يحياها مما يصيبه بالحيرة والإحساس بالتناقض وصراع فكرى وارتباك نفسى، فهذا التناقض بين القول والفعل يسود أغلب المظاهر الاجتماعية ومنتشر فى سائر المجالات السياسية والعلاقات العامة وأكثرها تدميرًا لنفوس الشباب تناقض الأقوال والأفعال عندما تكون صادرة عن الآباء والمربين والقادة والموجهين، فمثلًا الكثيرين ممن لهم مكانة خاصة فى نفوس الشباب يتحدثون عن الوطنية والتقدم والتنمية ولكنهم فى الوقت نفسه يتهربون من مسئوليات الوظيفة، أو دفع الضرائب المستحقة عليهم أن يهملون فى الملكية العامة حيث يساهمون فى تعطيل التنمية وهذا يجعل الشباب لا يبالون بما يدرون حولهم ويسخرون من الجهود المزولة فى المجالات المختلفة لأنهم فقدوا الثقة فى أقوال المحيطين بهم.

ثانيًا: اضطراب المصطلحات والمفاهيم:

يعانى الشباب من وجود الكثير من المفاهيم المغلوطة والتى تؤدى إلى اضطراب المصطلحات لديه حيث يفد إلى مجتمعنا العديد من المصطلحات والمفاهيم والتى قد تصل إلى حد التضارب أحيانًا مثل معيار الخطأ والصواب والجمال والقبح، والحق والباطل؛ رغم أن هذه القيم مطلقة ولا بد أن تكون ذات معايير موضوعية. إلا أنه فى عصرنا الحديث اختلطت المفاهيم فى أذهان الشاب، واختلف المعيار من شخص إلى شخص آخر حسب رؤيته وتفسيره لهذا الموضوع ذلك لأن كيفية التفكير الصحيح لا تتحقق إلا من خلال أربعة أنواع رئيسية من المحتوى تلعب دورًا أساسيًّا فى هذا الشأن وهى: المفاهيم، والتعميمات، والقيم، والحقائق المفردة، والنوع الأخير أقلها جميعًا من حيث التأثير فى تنمية التفكير.

ثالثًا: افتقاد الهوية:

لكل أمة هويتها وسمتها المميزة لها عن الأمم الأخرى وقديمًا نادى سقراط مطالبًا الإنسان بإدراك هويته حيث قال.. أيها الإنسان أعرف نفسك.. هذه المعرفة لا تأتى إلا

إذا كان ثمة علم. والعلم إنما يقوم على الكليات أو الأفكار العامة، وامتد اهتمام سقراط ببحث الهوية إلى تلميذه أفلاطون الذى اهتم على وجه الخصوص بدراسة المشكلات النظرية والعملية التى تنطوى عليها الحياة البشرية، وفى مجتمعنا الأنجد الاهتمام الكافى بمسألة من أنت؟ اندهش من هذا السؤال لأنه لم يسأل نفسه عن هويته أو شخصيته التى تتكون من ثقافتها وتراثها وتقاليدها وعقيدتها وقوانينها ونظمها، وهذه الثقافة هى التى تطبع الإنسان بملامح خاصة ومميزات معينة وذاتية واضحة، والآن الشباب يفتقد الإحساس بالهوية ونجده يميل نحو التقليد والاتباع، وهذا بسبب فقدان المثل الأعلى فى نفوس الشباب وعدم اتصافهم بتفكير شخص حر يتخلصون بمساعدته من التبعية والتقليد الأعمى للحضارة الغربية أو محاكاة النماذج السيئة فى المجتمعات لمجرد إثبات الذات وأنهم مختلفين عن غيرهم هذا جميعه يؤدى إلى افتقاد الإبداع والتطور فى حياتهم وبالتالى يصبح الشباب مسخ لا حياة لهم لأنهم فقدوا معرفتهم لذاتهم ونفوسهم الوطنية التى تساعدهم على التوازن النفسى.

رابعًا: الغزو الثقافى:

فى عصرنا الحالى تعد المحطات الفضائية والإنترنت من الوسائل المؤثرة فى التربية وتعد مسئولة بطريقة غير مباشرة عن ظهور بعض السلوكيات الخاطئة لدى الشباب وإكسابهم قيم ومفاهيم تنافى قيمنا الراسخة وعاداتنا وتقاليدنا التى نشأنًا عليها، هذا الغزو الثقافى لمجتمعنا هل يعد ضمن العوامل السلبية المؤثرة فى شبابنا؟ أم أنه على العكس من ذلك يمكن أن يكون أسلوب من أساليب التثقيف الذاتى لمشاهدى هذه البرامج؟ لا شك أن هذا الغزو الثقافى والفكرى لمجتمعنا يشغل فكر العديد من الكتاب والمفكرين فى بلدنا فهو موضوع جدير بالبحث والاهتمام الآن، وهذه الوسائل الحديثة لها فعل السحر وبعيدة الأثر على مشاهديها. وهذا يرجع إلى أن هذه التقنيات جديدة علينا وكل جديد له جاذبية تدفع الإنسان إلى التمسك به.

خامسًا: الاغتراب:

هذه المشكلة فجرها سنة ١٩٥٦م كتاب كلون ويلسون اللامنتهى والتى تتلخص فى قول الدكتور حسين مؤنس (غريب فى وطنى) وإذا كان مثل هذا الأستاذ المعلم وفى

هذا السن يحس مثل هذا الإحساس... ألا وهو الغربة. هذا الإحساس له دلالة تستوجب الوقوف عندها طويلًا وأن نحاول بيان أسبابها خاصة عند الشباب.

فنحن نتساءل لماذا يكون الإنسان غريب فى وطنه؟

هل حدثت الغربة لأن الإنسان افتقد القيم الأصيلة؟

هناك فى التاريخ ألوان عديدة من الاغتراب الذى أحسه الأنبياء والمصلحون وأصحاب الدعوات. كان الاغتراب يدفعهم إلى الهجرة أو الارتحال ولكن إلى حين، والأن ما الذى يدفع الشباب إلى الإحساس بالغربة. هل لأن كل شىء تاه فى زحام الإنسان والمعنى والقيمة؟

للإحساس بالغربة أسباب عديدة:

منها عدم القدرة على التواصل بين الشباب والمحيطين بهم بسبب اختلاف لغة الحديث المتداولة بين الشباب والجماعات الأخرى فنجد العديد من الألفاظ فى الشعارات الغربية والتى يتحدث بها الشباب هذه اللغة غريبة على مجتمعنا وقيمنا ومبادئنا فهذا يوجد نوع من انعدام المعرفة فكما أن المعرفة غربة وانفتاح فإن الجهل غربة وانغلاق ولهذا يجب على المتعاملين مع الشباب معرفة اللغة التى يتحدثون بها وأن تخترق السياج الذى أحاطوا أنفسهم به وذلك لإمكانية التواصل معهم وإزالة الأسباب التى تجعل الشباب يحسون بالغربة فى مجتمعهم وبين ذويهم الذين يحسون بالغربة فى أوطانهم لأنهم لا يستطيعون مجاراة الوصوليين وحملة أبواق النفاق فى الترويج لأنفسهم وإظهار أنهم الأجدر والأكثر خبرة فى مجالهم رغم أنهم فاقدين لهذه الصفة تمامًا والمطلوب ألا ينسحب أهل الخبرة ويتقوقعون وينعزلون بعيد ويتركون الساحة لهؤلاء المنافقين وبما أن أبتعادهم هذا يخلى الساحة لا مثال هؤلاء المنافقين وبما يعطى القدوة السيئة للشباب فى المجتمع وأنه على حد قولهم «مفيش فايدة» هذا القول يلخص يأسهم من الإصلاح فى أى مجال ما دام يسود المجتمع الوصولية والنفاق وبالتالى يجعلهم يفقدون حماسهم وإيمانهم بالقدرة على الإصلاح والتغير.

سادسًا: محنة الاختيار بين الحديث والتأصيل:

يعانى الشباب من التمزق بين اتجاهين مختلفين الأول وهو التراث وبما يحتويه من

موروثات ثقافية لا يمكن إغفال أثرها فى تكوين شخصية الشباب، والثانى وهو الحداثة بكل ما تشتمله من اتجاهات مختلفة وتيارات حضارية مختلفة، ومن واجبنا ألا نخلط بين النمو الحضارى المتكامل الأصيل، والثابت من ناحية والأشكال المشاهدة للتحديث دون إدخال تغييرات عميقة فى المجتمعات من ناحية أخرى. فمن الضرورى استلهام الماضى بكل ما يحتويه والذى يمثل القيم والأنماط الحضارية القديمة والتراث القومى الذى يرتبط بالأمجاد القديمة التى تتخذ صورة مقدسة ومثل أعلى، وما دمنا بصدد الحديث عن الموروث القديم فلنبدأ بالترتيب التاريخى له، لأن مصر حافلة بتاريخ ضخم وتراث عميق وأدب فريد منذ أيام الفراعنة حتى يومنا هذا ويعانى الشباب فى وقتنا الحاضر من عدم الإحساس بالأمان وهذا الإحساس ليس قاصرًا على شباب بلادنا وحدهم ولكنه شعور سائد عند كافة الشباب بصفة عامة وهذا يرجع إلى أن العالم يحتاجه العديد من المتغيرات فى شتى المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وهذا يؤدى إلى وجود شباب حائر خائف من اقتحام المستقبل والمجهول فهو يريد مستقبل آمن، كيف يتحقق له الأمان وهو غير واثق من وجود فرصة عمل حقيقية تنتظره بعد التخرج من الجامعة، خاصة وهو يرى البطالة فى كل مكان فما زال الخريجين منذ سنوات عاطلين عن العمل، والكثير منهم يحاول أن يجد البديل أما القيام بأعمال بسيطة حتى وإن كانوا باعة جائلين أو السعى نحو استطلاع الأراضى وهذا يقضى على مبدأ هام وضرورى ظللنا ننادى به لسنوات وهو الرجل المناسب فى المكان المناسب، أى لا بد من وجود التخصص.

ومن أهم العوامل التى أدت إلى وجود مشكلات فى حياة الشباب ما يلى:

١- افتقاد وسائل الاتصال الفعَّالة.

٢- عدم أخذ آرائهم فى الاعتبار.

٣- دور الجمعيات والمؤسسات هامشى.

٤- انعدام الثقة بين الشباب وبين الفئات الأخرى.

٥- عدم وجود وسائل إعلام حقيقية تعبر عن احتياجاتهم المختلفة.

ومن أسباب الإحساس بالغربة وعدم الانتماء ـ أيضًا ـ ما يلى:

١- عدم القدرة على التواصل بين الشباب والمحيطين بهم بسبب اختلاف لغة الحديث المتداولة بين الشباب والجماعات الأخرى.

٢- غياب الديمقراطية فالديمقراطية تعد صمام الأمان للشعب.

٣- افتقاد الأمان والحب، والتواجد الحقيقى من خلال علاقات حقيقية محببة أمنة.

٤- الفجوة الكبيرة بين الأبناء والأهل وبين الطلاب والمدرسين والتى تعبر عن تباعد فى الرؤى كما تعد من أهم معوقات الانتماء.

حل إشكالية الانتماء:

باستخدام المنظور الثقافى البيئى التربوى الإنسانى لمساعدة الفرد على الانتماء يتأتى:

- إعادة التصالح والتعامل بشكل إيجابى مع البيئة طالما أن إشكالية الانتماء هى الإنسان فى علاقته وتفاعله مع البيئة ولعل من أبرز نقاط البدء لحل إشكالية الإنسان والبيئة هى معالجة الأمور من حيث اضطرابات.
- تحل مشكلة الانتماء باستخدام هذا المنظور الجديد بما فيه من دراسات الخط الفكرى الذى يجمعها وهو إعادة التعامل مع الحياة وإحداثها بمعانى جديدة ومن خلال مواقف حياتية معاشية وبالتدريب على تقبل الاختلاف والمرونة من خلال تدريب الشخص على التواجد فى بيئات على تقبل الاختلاف والمرونة من خلال تدريب الشخص على التواجد فى بيئات أقل من بيئته الأصلية أو أكثر ثراءً وثقافة وهذا التوجه الجديد له ظلال ورؤى كثيرة.

ـ يمكن تغيير سلوك الفرد عن طريق الجماعة، فكل جماعة لها معاييرها وقيمها التى يتحتم على الفرد المنتمى إليها اكتسابها.

ـ يتمكن الفرد عن طريق انتمائه للجماعة من اكتساب الميراث الثقافى الذى يمكنه من التفاعل إيجابيًّا مع أفراد مجتمعه.

ـ تساعد الجماعة الفرد على ممارسة أنواع من النشاط، يستغل فيه قدراته ويكتشف قدرات أخرى.

هجرة الشباب.. والانتماء

دوافع وأسباب الهجرة الخارجية:

أسباب هجرة الكفاءة العلمية:

ـ ترتبط ارتباطا أساسيًّا بالأوضاع الاقتصادية والإدارية والسياسية والاجتماعية.

وهناك قوى ضاغطة.. ومن الجانب الآخر قوى معنوية (جاذبة).... وفيما يلى عرض لأهم هذه الأسباب:

أسباب اقتصادية:

١- انخفاض المرتبات ووجود تفاوت كبير فى المرتبات بين الفئات المختلفة وداخل الفئة الواحدة.

٢- البطالة وعدم مناسبة العمل المسند للفرد للمؤهل الدراسى له نتيجة للتوسع الكمى الكبير وغير الموجه ونظم التعليم وزيادة عدد الخريجين.

٣- التطلع إلى حياة أفضل وأقل تعقيدًا والعائد المادى أعلى وأكبر.

وأسباب إدارية:

- الهيكل الإدارى أيسر متمثلًا فى المركزية الشديدة والعمل بقدر كبير من الإجراءات الروتينية وعدم اشتراك ذوى المؤهلات العليا فى اتخاذ القرارات والمشاركة فى المسئولية بالإضافة إلى سياسة الاعتماد فى الوظائف العليا على الأقدمية العمياء الأعلى كفاءة.

- عدم وجود سياسات الجودة البشرية وانعدام التخطيط السليم.

- المركزية الزائدة حيث تتركز معظم الصلاحيات والسلطات فى يد فئة من فئات المؤسسات الكبيرة.

أسباب اجتماعية:

- مشاكل العائدين والتكيف من جديد مع البيئة الاجتماعية الأصلية وصعوبة الحصول على عمل مناسب والبطالة وعدم تقدير العلم والعلماء.

أسباب نفسية:

قد يكون الدوافع للهجرة فى بعض الأحيان شىء أبعد من مجرد إشباع الحاجات المادية فقد يصل الأمر إلى عمق الشخصية ومن هذه الدوافع ما يلى:

- إحساس الفرد بعدم الإنصاف أو إهدار كرامته وكيانه.
- افتقاد الأفراد لمعايير محددة تحقق لهم الاطمئنان.
- افتقاد الأفراد لأى رابطة تربطهم بالوطن.

ضعف الشعور بالانتماء

يعانى الكثير من الشباب فى كثير من مجتمعاتنا العربية من الشعور بالانتماء سواء كان هذا الانتماء إلى مشكلة ضعف مجتمعاتهم المحلية أو إلى أسرهم أو إلى المجتمع، فالشباب يشعر بالغربة على أرضه وعدم الانتماء فلا يشعر مثل هؤلاء الشباب بالتوحد والاتحاد فى كيان واحد وجسد واحد مع مجتمعهم.

والمفروض إذا كانت التربية تربية دينية وطنية واجتماعية وأسرية سوية بحيث يشعر الفرد أنه ومجتمعه جسد واحد وكيان واحد ومن ثم ترى الشاب يتألم لآلامه ويحتضن مبادئ مجتمعه، يسعد لسعادة مجتمعه وأهدافه ورسالته وقيمه ومعاييره ونظمه وفلسفته وعقيدته، وتصبح هذه القيم قيمه هو، ومن ثم يجتهد يدافع عنها من أجل حمايتها، كما يسارع للدفاع عن الوطن ضد الأخطار.

ويدفعنا الشعور القوى بالانتماء إلى الوطن العربى الكبير وأمتنا الإسلامية وإلى توجيه الجهود وبذل كل ما أوتينا من قوة وعزم فى سبيل رفع شأنها وإعلاء كلمتها والنهوض بها والعمل على تقدمها وازدهارها ورفع هامتها عالية بين الأمم. أما عدم الانتماء فإنه يولد الفتور والسلبية واللامبالاة وعدم تحمل المسئولية.

وينبغى أن يدرك الشباب أنه يتعرض لكثير من حملات الغزو الثقافى التى يشنها أعداء الوطن للنيل من قوة الشخصية ومن صلابة الإرادة العربية ومن قوة العقيدة.

أسباب ضعف الشعور بالانتماء:

هناك العديد من الأسباب وراء ضعف الشعور بالانتماء فى مقدمة هذه الأسباب تقع العوامل التربوية، حيث أن التوعية الوطنية والاجتماعية مسئولة عن نقص الشعور

بالانتماء، ذلك الشعور الذى يتعين أن يغرس فى الشباب منذ نعومة أظفاره أى فى الطفولة؛ كذلك فإن الإحساس بالظلم، سواء كان هذا الظلم حقيقيًّا أو خياليًّا يجعله يفقد الشعور بالانتماء.

ومن العوامل الأساسية فى هذه المشكلة شعور الشباب بأنه مهمل وأنه لا يلقى الرعاية والاهتمام، وأن حقوقه مهدرة وحاجاته مهملة، وسواء كان هذا الشعور حقيقيًّا أو وهميًّا فإنه يلعب دورًا رئيسيًّا فى ضعف الانتماء.

كذلك فإن أجهزة الإعلام والثقافة مسئولة ولو جزئيًّا عن نشأة هذا الشعور وذلك بما تقدمه من مظاهر للحياة الغربية مما قد يبعث على الانبهار والرغبة فى تقليدها، أو ما قد تعرضه هذه المؤسسات الاجتماعية من مشكلات وهموم فى حياة الشباب وتبالغ فى إبراز هذه المشكلات إلى حد يدفع إلى الشعور باليأس، وعدم الأمان والاستقرار، وقد تهز شعوره بالإعجاب والاعتزاز بوطنه ماضيه وحاضره ومستقبله بالفخر، ولعل ما يواجه الشباب من مشكلات واقعية كصعوبة الزواج وإيجاد مسكن وتكوين الأسرة والحصول على عمل مناسب من بين الأسباب التى تضعف من شعوره بالانتماء.

ولا شك أن هناك عوامل أخرى داخلية وخارجية ساهمت بشكل أو بآخر فى إضعاف درجة الانتماء تتمثل تلك العوامل فيما يلى:

١- غلبة القيم المادية فى المجتمع حيث أصبح ينظر على المال على أنه الآلية التى تمكن الفرد من إشباع حاجاته وطموحاته بغض النظر عن أثره السلبى على المجتمع.

٢- الإسراف فى اتخاذ الإجراءات أدت إلى إهدار قيمة العمل وانعدام الصلة بين العمل والأجر الذى يقابله.

٣- سيادة القيمة الفردية وإعلاء المصلحة الخاصة على المصلحة العامة.

٤- سيادة قيم المنهج الاستهلاكى فى المجتمع وحدوث اختلال فى توزيع الثروة لصالح الأقلية الميسورة فى المجتمع على حساب الأغلبية المعسورة.

٥- الافتقاد إلى القدوة التى تعمل وتضحى من أجل مصلحة الجماعة.

٦- الافتقاد لتطبيق الثواب والعقاب على نطاق واسع.. وعدم وجود عقوبة رادعه عند خروج أخر الأفراد عن الجماعة.

٧- سيادة قيم السلبية واللامبالاة التى تناقض قيم الانتماء.

٨- عدم توفير المجتمع الحاجات الأساسية لأفراده.

٩- ضعف الوازع الدينى لدى البعض وانتشار أفكار متطرفة تؤثر على الانتماء لدى أعضاء الجماعة داخل المجتمع.

١٠-ضعف دور وسائط التنشئة الاجتماعية والسياسية فى غرس عملية الانتماء وذلك لاعتبارات خاصة بكل وسيط من هذه الوسائط.

١١-ضعف فعَّالية وسائل الضبط الاجتماعى والمعروف أن لكل مجتمع نسقه الذى يتمثل فى مجموعه من القواعد والمعايير الاجتماعية التى تعتبر إطارًا مرجعيًّا لسلوك الأفراد.

١٢-ظهور حالة التخبط الشعبى وفقدان المعايير على مسرح الحياة الاجتماعية فى المجتمع كالمتغيرات الاقتصادية والاجتماعية فى المجتمع.

ولقد أكد بعض العلماء أن من أسباب شعور الفرد بفقدان الانتماء أيضًا ما يأتى:

- غياب مفهوم وحدة الجماعة وفقدان الإحساس بالمصير المشترك لدى أفراد الجماعة.
- فقدان الإحساس بالأمن والاستقرار داخل الجماعة.
- التعرض للعديد من الإحباط دخل الجماعة وتفكك الجماعة.
- فشل الجماعة فى إشباع بعض الحاجات المادية والنفسية والاجتماعية لأفرادها.
- اضمحلال قيمة الجماعة وسيادة روح الأنانية واللا أنانية داخل الجماعة.
- عدم القدرة على توظيف طاقات الأفراد واستغلالها لصالح الجماعة.
- عدم القدرة على خلق هدف مشترك للجماعة ودفع الأفراد للتحرك نحوه.
- عدم قدرة الأفراد على المشاركة فى حل المشكلات التى تواجه الجماعة مما يخلق روح الاعتمادية والأنانية.

- عدم تحديد أدوار الأفراد ومسئولياتهم داخل الجماعة.
- غياب أسلوب التربية الأخلاقية للأفراد.
- عدم خلق روح التعاون بين الأفراد فى الجماعة.
- عدم تدريب الأفراد على أسلوب التفكير الصحيح بشكل منطقى وعقلانى لصالح الجماعة.

ولقد أشارت العديد من الدراسات إلى ما اصطلح على تسميته «أزمة الانتماء»، وتناولت هذه الدراسات فى إطار معالجتها لهذه القضية، بعض المؤشرات الدالة على وجود أزمة فى الانتماء الوطنى، فى العديد من البلدان العربية، ومن أهم هذه المؤشرات الآتى:

١- عدم مراعاة بعض الأفراد للقيم، والعادات، والتقاليد السائدة فى المجتمع.
٢- إقدام بعض الأفراد على أعمال التخريب فى المرافق العامة.
٣- انتشار الجرائم الاقتصادية مثل اختلاس المال العام، والرشوة، والتزويد.
٤- ازدياد معدلات الهجرة والنزوح للخارج، والتفاخر بالحصول على الجنسية الأجنبية.
٥- التقاعس عن تلبية نداء الوطن، والتخلى عن الواجب فى أوقات المحنة.
٦- استغلال السلطة والنفوذ لمصالح شخصية، كجمع المال بطرق غير مشروعة، أو الانتقام من الغير وعرقلة مصالحهم.

وترجع أزمة الانتماء الوطنى بشكل عام، إلى عدة معوقات، من أبرزها ما يلى:

- فشل الأسرة، والمدرسة فى غرس روح الانتماء لدى الناشئين.
- اختلاف القيم والمعايير، وتضاربها فى المجتمع.
- انتشار البطالة، والبطالة المقنعة.
- عدم استغلال وقت الفراغ، وما ينتج عنه من مشكلات لدى الشباب.
- تضارب الأيدلوجيات فى المجتمع، والتعصب العرقى، أو الطائفى داخل المجتمع الواحد.

- عدم المساواة فى الفرص والحقوق، وزيادة حدة التفاوت الطبقى.
- تعرض المجتمع لبعض الأزمات القاسية، كالحروب المدمرة، أو انهيار اقتصاد الدولة.

معوقات الانتماء الوطنى

أولًا: فشل الأسرة والمدرسة فى غرس روح الانتماء فى الأبناء:

إن بذور الانتماء الوطنى تبذر فى تربة الأسرة ثم فى تربة المدرسة وكلما استطاعت الأسرة ثم البيئة المحلية والمدرسة فى تهيئة المناخ المناسب لنمو روح الانتماء لدى الناشئة كان الانتماء ناميًّا على الوجه الصحيح أما إذا كانت الأسرة ممزقة ويشيع فى جوها روح البغضاء والتوجس والخيانة والأنانية فإنها بالتالى لا تستطيع أن تقوم بتنشئة أطفال ومراهقين وشباب لديهم انتماء إليها.

ثانيًا: البطالة والبطالة المقنعة:

من عوامل تقوية روح الانتماء الوطنى توفير المجتمع للوظائف والمهام والأنشطة التى يحس فيها الشباب بأنهم إيجابيون ومشاركون حقيقيون فى بناء الوطن. فالشباب العاطل يحس بأنه زائد عن حاجة المجتمع وبالتالى فإنه ينقم على ذلك الوطن الذى سمح بوجوده بغير أن يكون قد جهز له عملًا يرتزق عن طريقه ويحس بوجوده وكيانه بممارسته له. وتلك المشاعر نفسها تنتاب الشاب الذى يحس بأن الدولة قد ألحقته بمؤسسه لا تريده أو ليست فى حاجة إلى خدماته وأنه يحس بأن المرتب الذى يتقاضاه إنما هو فى الواقع إعانة بطالة وليس ثمنا لجهد يبذله فى العمل.

ثالثًا: المشاكل المالية:

لا شك أن الفقر وضعف الدخل أو عدم مناسبة الدخل لتوفير المستوى المقبول من المعيشة، فهو يبعث على نقص الولاء للمجتمع، فالمجتمع الذى يجوع أبناؤه لا يستحق فى أنظارهم حبهم له وتفانيهم من أجله فالإنسان ينفر من فكرة الإحسان أو حتى العطف عليه فهو يرغب فى الحصول على مال يبذل فى مقابله جهد فالمال الذى تقدمه الدولة إلى الفقراء على سبيل الإحسان لا يكفل لها الولاء من جانبهم بل قد يكون أولئك الذين أحسنت إليهم الدولة أول الناقمين عليها وغير الموالين لها.

رابعًا: مشاكل وقت الفراغ:

لقد بدأ يشعر الأفراد بزيادة وقت الفراغ حيث التكنولوجيا الحديثة التى لا تحتاج إلى وقت طويل يقضيه العاملون فى مقار أعمالهم فالطاقة المختزنة التى لا نجد لها تصريفًا واستنفاذًا تكون بمثابة قنبلة توجه للتخريب والتدمير، فالبطالة المقنعة هى وقت فراغ صريح ومقنع فنحن نلاحظ فى هذه الآونة أن المخربين والمتآمرين وفاقدى الولاء لأوطانهم يزيدون عددًا وخطورة.

خامسًا: تضارب الأيديولوجيات فى الوطن الواحد:

لكى يزيد الولاء للوطن والانتماء إليه لا بد من عدم تضارب السياسة المتبعة فى بعض القضايا فعلى الدولة تحديد اتجاهات نحو موضوعًا ما من جميع جوانبه فالنتيجة المترتبة على هذا التضارب هى ضعف ولاء الشباب بسبب الحيرة بين الأيديولوجيات المتضاربة تضاربًا واضحًا فى الفكرة والاتجاه.

عوامل دعم الانتماء:

لا شك أن مجتمعاتنا تعانى الآن لا مبالاة، فقد تحول ضعف الانتماء إلى انعدام فى الانتماء، فالطالب لا يريد عمل شىء والموظف لا يحسن صنع شىء وذلك لعدم القناعة بالجماعة أو بالدور الذى يقوم به الفرد داخلها والعلاج يبدأ بتفعيل الانتماء. وتفعيل الانتماء لا يأتى من فراغ فلا يمكن تشكيل الأفراد وتعبئة قواهم لخدمة مجتمعهم بالخطب والمواعظ أنما يتحدد انتمائهم لجماعتهم بما يسمى (أدوات تأثير الجماعة على الفرد) ولعل أهمها (جاذبيه الجماعة عند الأفراد) ولا تأتى تلك الجاذبية إلا بتوفير منظومة من العناصر المتكاملة ومنها:

١- القدرة على إشباع ما يحتاجه الأفراد عقليا ووجدانيًّا وماديًّا، وبقدر إشباع الجماعة للفرد، بقدر تعاظم جاذبيتها فى نفسه.

٢- توفير فرص الوصول إلى مراكز عليا فى الجماعة، فكلما ارتفع مركز الفرد كلما زاد انتماؤه.

٣- توافر عنصر التقبّل للفرد وحفظ كرامته، فكلما زاد إدراك الفرد بأنه موضع تقبل واحترام من المجتمع، كلما ربّى انتماؤه.

٤- وضوح الأهداف التى تسعى إليها الجماعة، وكذا الأساليب المستخدمة للوصول لتلك الأهداف، فكلما اتضحت تلك الأهداف، كلما اتضح دور الفرد وموقعه فى الجماعة.

٥- توفير نماذج للاقتداء، فتستطيع الجماعة أن تؤثر على أفرادها إيجابيًّا من خلال النماذج الباردة فالبارزون أصحاب الشخصيات الأخلاقية يقتدى بهم الأعضاء، حيث أن أحد مصادر التعلم هو الاقتداء ومحاكاة الغير.

فالمرء يشعر بالانتماء والحب للجماعة التى يتواجد فيها حين:

- يكون تواجده فيها يضيف إليه زادا روحيًّا وأخلاقيًّا وسلوكيًّا وعلميًّا إلخ.
- يجد من جماعته عونًا وسندًا فى أوقات الأفراح والأزمات.
- لا يجد تفرقة وتميزًا فى التعامل بين أفراد الجماعة، إلا لأسباب موضوعية، بعيدة عن التحيزات الشخصية تسود روح الألفة والمودة والمحبة والتعاون والتكافل بين أفرادها.
- تحفظ الجماعة أسرار أفرادها، وتعمل على حل أزماتهم ومشكلاتهم.
- تحسن الجماعة توظيف أفرادها، وتفجر الطاقات الكامنة داخلهم على اختلاف أشكالها وألوانها.
- تقدر الجماعة الجهود التى يبذلها أفرادها.
- تحرص قيادة الجماعة على الالتزام بمنهج الإسلام فى أخلاقها وسلوكياتها وعباداتها... إلخ.
- تلتزم الجماعة منهج الشورى وتطبيقاته فى كل مستوياتها، وحين يتسع صدر قيادات الجماعة للرأى المخالف وللنصيحة مهما كانت قاسية.

التعليم ... والانتماء

أن الترابط هو أحد عوامل الجذب إلى المجتمع المحلى أى أنه يغذى الانتماء على أحد المستويات ولكن هذا الترابط ليس دليلًا كافيًّا على نضج الانتماء إلى الوطن، بل أن

openkandil.com

كثيرًا من الباحثين قد اعتبروا أن شده الارتباط بالمجتمعات المحلية قد يؤدى على الانفصال عن هموم ومشاكل المجتمع. كما أن هناك تداخلات متعددة تؤثر على إيجابية وسلبية التعليم للعلاقة الأسرية ويؤثر أيضًا على المجتمع المحلى وترابطه بشكل عام ويؤثر التنوع فى مجالات العمل داخل الأسرة على علاقات أفرادها سلبيًّا بل أنه قد يؤدى إلى الترابط حيث نجد داخل الأسرة الواحدة المدرس والسائق والمزارع يعيشون حياة تكافلية ونجد أن الترزى والعامل والموظف يعطون دخولهم لرب الأسرة حيث يتولى عملية الإنفاق. ولا يعتبر التعليم هو العائق الوحيد عن ولوج مجال الزراعة والعمل بها إذ نجد أن تعلم حرفة قد يؤدى إلى أن يهجر الفرد العمل الزراعى حتى مع توفير المناخ المشجع داخل الأسرة. وتعتبر روح التضامن بين مثل هذه الوحدات المعيشية عامل جذب إلى المجتمع المحلى، وهو جذب إيجابى لأنه يشجع على ترسيخ جذور الفرد فى هذا المجتمع الكبير، ولكن هناك حالات يؤدى التعليم فيها إلى تفكك الأسرة حيث أن تعليم بعض الأخوة فقط يسبب جفوة بين رب الأسرة وبعض الأبناء وتولد شعور بالسخط والكراهية لإخوته المتميزين عنه فى تعليمهم وهذا الشعور بالدونية جعله فى شبه انفصام بينه وبين المجتمع المحلى فهو لا يريد أن يظل فى الأسرة حتى لا يكون معرضًا لرؤية هؤلاء الأخوة من حين لأخر ليذكروه بجهله وبما أتاحه لهم التعليم من فرصة لا تتساوى مع فرصته فى الحياة. بناء على ذلك ممكن أن نقول إن وعى الفرد بدونيته يتعاظم مع وجود أفراد فى أسرته أكثر تعليمًا منه وأكثر رفاهية فى مستوى الحياة وهذا يسبب له اتجاها سلبيًّا نحو أسرته ونحو مجتمعه.

ويدخل تقارب المكسب المادى عامل فى تحقيق أثر الفروق الناتجة من مستويات التعليم فى الأسرة الواحدة. أى أن الأقل تعليمًا لا يشعر بالدونية بالنسبة لأخوته طالما أن قدرته على المكسب المادى لا تقل عنهم ويستمر ارتباطه بهم حافزًا للارتباط بالمجتمع المحلى. وعلى مستوى المجتمع المحلى نجد أن البعض جعله أكثر فى مجتمعه عن غيره كما أن استخدام العلم من أجل التأثير إيجابيًّا فى التقدم هو الذى يؤكد الانتماء فهناك توظيف للمعرفة فى إنتاج أفضل.

مظاهر الانتماء والولاء فى المدرسة :

١- محافظة الطلاب على المال العام فى المدرسة وخارجها.
٢- انخفاض السلوكيات غير المرغوب فيها داخل المدرسة وخارجها.
٣- القضاء على ظاهرة الدروس الخصوصية وعدم إقبال الطلاب عليها واعتمادهم على المدرسة كمصدرًا وحيدًا للعملية التعليمية.
٤- انعدام الغياب فى المدرسة وعدم تسرب الطلاب.
٥- وجود روح تعاون ومحبة بين الطلاب ومعلميهم وإدارتهم المدرسية.
٦- ظهور جيل من المبدعين والموهوبين والمبتكرين.
٧- وجود تواصل مستمر بين المدرسة والبيئة وخاصة أولياء الأمور.
٨- النجاح مع التميز للغالبية العظمى بين الطلاب.
٩- نجاح فكرة المدرسة كوحدة منتجة نتيجة تضافر الجهود المبذولة من المدرسة والطلاب.

طرق تكوين الولاء والانتماء لدى الطلاب :

يتطلب تكوين بذل كثير من الجهد داخل وخارج المدرسة عن طريق الآتى:

١- وجود قدوة حسنة تتمثل فى مدير المدرسة القائد المتعاون الديموقراطى الذى يرفض أساليب القهر والمتابع بإيجابية للعملية التعليمية بالمدرسة وتفعيلها لمصلحة الطالب.
٢- معلمون يعتمدون على أساليب المحاورة والمشاركة مع الطلاب ودفعهم للإبداع والابتكار وعدم الاعتماد على التلقين ونبذ محترفى الدروس الخصوصية من بينهم.
٣- مجموعة الأنشطة المدرسية التى تجعل المدرسة مكانًا للترفيه عن الطلاب.
٤- القيام بمجموعة من الرحلات تشارك فيها إدارة المدرسة والطلاب وأولياء الأمور حتى تتواصل المدرسة مع البيئة.
٥- تدريب رواد الفصول مهنيًّا ومهاريًّا لحل مشاكل الطلاب وتكوين جماعات داخل الفصول عن طريق الإخصائيين الاجتماعين.

obeikandl.com

٦- الاهتمام بالندوات واللقاءات خاصة مع النماذج الجيدة فى المجتمع مثل أبطال حرب أكتوبر ١٩٧٣م ورجال الدين لغرس القيمة الدينية والاجتماعية والبطولية.

مظاهر محدودية الانتماء لدى أعضاء الجماعات المدرسية وغير المدرسية

١- **اللا مبالاة**: وتتمثل فى عدم اهتمام الفرد بالأفراد أو الظواهر أو المواقف فى المجتمع بصفة عامة.

٢- **الشكل السياسى والاجتماعى**: ويتمثل ذلك فى الشك فى أحوال وأقوال وأفعال الأخرين فى المجتمع.

٣- **الاغتراب**: ويقصد بذلك شعور الفرد بأن المجتمع لا يحس به ولا يعنيه أمره وبأنه لا قيمه له فى المجتمع ويؤدى ذلك إلى تقليل الفرد من أهدافه وطموحاته وتقليل المشاركة الفعَّالة والتفاعل مع الآخرين.

٤- **ارتفاع معدل الجريمة**: درجة العدوانية وظهور أنماط جديدة فى السلوك المرضى كالبلطجة والتربح السريع بالطرق غير المشروعة.

رحابة الانتماء:

من الواضح أن اجتماع الناس بعضهم مع بعض يولِّد الكثير من التشنجات والتوترات والمصادمات، وذلك بسبب اختلاف رؤاهم وأمزجتهم وأهوائهم ومصالحهم.. ومن هنا كان لا بد من إيجاد المزيد من الأطر والمبادرات الأخلاقية التى تقلل من أشكال الخلاف بينهم، أو جعل ذلك تحت السيطرة.

ويعتقد البعض أن المنهج الربانى ثرى بالإرشادات والأدبيات التى تدفع بالمسلم نحو الإحساس بالارتباط بالفضاءات الرحبة، والعمل على صيانة تلك الفضاءات وتعزيزها، وذلك من أجل إعمار الأرض وخفض التوتر ونشر الدعوة وإصلاح المجتمعات، كما أن لكل واحد منا عددًا من الانتماءات القهرية (الانتماء للأسرة، للقبيلة، للرفاق،... إلخ)، وأن لكل انتماء منها حقوقه التى ينبغى أن تُؤدّى عن طيب خاطر. وأن الذى يدل على تميز الإنسان وإحساسه بالمسئولية هو عدم الانتماءات الاختيارية ونوعية تلك الانتماءات؛ إذ إننا نجد أن عددًا كبيرًا من المسلمين منكفئون

على أنفسهم، وقد رضوا بالعيش على هامش الحياة، فلا ينتمون إلى جماعة ولا مجموعة ولا جمعية، ولا يؤسسون أى برنامج أو مشروع يمكن أن يفيد الناس، بل إنهم لا يهتمون بأى شىء يتجاوز نطاق حياتهم الشخصية والأسرية، على إننا نرى فى كثير من البلاد المتقدمة من يساهم فى عشرات الأنشطة، وينتمى إلى عشرات الجمعيات والهيئات ذات النفع العام، وأن ما نحن فيه من الزهد فى الشأن العام هو أحد مفرزات التخلف والاستبداد الذى عانينا منه طويلًا.

ومن المهم فى الانتماءات القهرية شيئان: الانفتاح والانسجام:

ويقصد بالانفتاح هنا أن نحذر من الانغلاق الثقافى أشد الحذر؛ إذ لا ينبغى أن نطور أى أدبيات وأية مفاهيم جوهرية لأى انتماء فى عزلة عن الانتماءات الأخرى، فإذا كان الواحد منتميًّا لجماعة ـ مثلًا ـ فلا ينبغى لذلك الانتماء أن يكون معزولًا عن الانتماء للقبيلة والوطن والأمة والإنسانية جمعاء. وإنما نؤكد هنا هذا الكلام لأن بعض الجماعات صورت لأتباعها أنها سفينة النجاة فى زمن الطوفان، وبعض الجماعات أوحت لأتباعها أنها شبه جزيرة نقية بيضاء فى بحر ملوث بكل أشكال التلوث، وهذا غير صحيح من الناحية الواقعية، ثم إنه أوجد نوعًا من النرجسية المريضة لدى أبناء الجماعة، وقلّل من فعَّاليتهم الإصلاحية، والمشكلة أن أولئك الأفراد يكونون قابلين للتجنيد فى أعمال تخريبية واسعة النطاق، وإذا ترك بعضهم تلك الجماعة، فإنهم لن يعودوا إلى أحضان المجتمع، وكيف يعودون إليه وهم يعتقدون أنه بالغ السوء فى كل شىء، ومن ثم فإنهم قد ينحرفون انحرافًا عظيمًا، ويتنقلون من النقيض إلى النقيض، ومن هنا كان على الصحوة المباركة إذا أرادت أن تصمد وتنمو وتستمر... أن تقوى محيطها، بمعنى أن تنشر قيمها فى ذلك المحيط، وتقيم فيه المشروعات والبرامج الإصلاحية النابعة من عمق معتقداتها ورؤاها وأخلاقياتها.

أما الانسجام فإنه يعنى أن نقضى على كل ما يمكن القضاء عليه من أشكال التنافر والتباين بين الانتماءات القهرية والاختيارية المتاحة، وهذا على مستوى القيم وعلى مستوى المصلحة والممارسة؛ فقيم مثل الصدق والأمانة والجدية والنزاهة والإخلاص والتعاون والتواضع... يجب أن تُعتمد فى المجال التربوى على كل المستويات وفى كل

الأطر والدوائر.. فى الأسرة والمدرسة والجامعة والجيش والسياسة والأعمال التجارية والصناعية والعلاقات الدولية، لا يصح أن نعلّم الطفل فضيلة التواضع والتعاون فى المدرسة، ونلقى فى روعه ما يشجعه على الكبر والأنانية والفردية المريضة من خلال إغراقه بالحديث عن فضائل قبيلته وتميزها على العالمين! كما لا يصح أن نحدث الطفل فى المسجد عن الاستقامة والأمانة... فإذا ذهب للدراسة... فى بلد غربى قلنا له: أنت فى دار حرب، فمارس ما شئت من أشكال الاحتيال واللصوصية على نحو ما يفعله كثير من العرب والمسلمين فى أوروبا مع الأسف الشديد.

ومن المهم دائمًا أن يفكر الواحد منا، ويتصرف على أساس أن مصلحته ومصلحة أسرته وقبيلته ووطنه وأمته والعالم أجمع هى مصلحة واحدة، وقد أظهرت الأزمة المالية العالمية الأخيرة أن التفكير على هذا الأساس هو التفكير الصحيح. حيث لا يمكن للمنافسين والأعداء فى الشرق والغرب أن يغرقوا فى الرذيلة، أو أن يفلسوا، أو يهلكوا بسبب المخدرات، أو أن يلوثوا الماء والهواء، ونظل نحن فى مأمن من كل ذلك.

هذه النظرة ترتقى بالمسلم إلى مرتبة المواطن العالمى الذى يهتم بصلاح العالم، وينظر إلى كل دول الأرض على أنها مجال خصب للدعوة والبناء والعطاء والإصلاح، مع اليقين بأن الأقربين أولى بالمعروف. نحن نريد أن نوسع مساحات (المشترك الثقافى) على مستوى العالم، ونعد ذلك من مسئولياتنا بوصفنا خير أمة أخرجت للناس ـ كما قال ربنا عز وجل ـ لأن ذلك يسهّل عملية التواصل العالمى. ولا شك أن العالم متفق على الكثير من القيم العظيمة، وإن كانت الشعوب تختلف فى تفاصيل تطبيقات تلك القيم، لكن الاتفاق عليها موجود وقوى؛ إذ إنك لا تجد ثقافة فى الأرض تنظر إلى عقوق الوالدين وإيذاء الجار والكذب واللصوصية... على أنها فضائل ينبغى الحفاظ عليها وتربية الأطفال فى المدارس عليها، نحن نريد لهذه القيم أن تزداد، ونريد لها أن تبلور على نحو كاف، على نحو يقترب من الرؤية الإسلامية لها. وعلى سبيل المثال فإننا نريد أن يحصل على ما يشبه الإجماع على قيم مثل: المحافظة على البيئة، والاقتصاد فى استهلاك الموارد، والتماسك الأسرى، والوقوف على جانب المظلوم، والنزاهة الإدارية،

والشفافية فى الحكم، وتدفق المعلومات، وكرامة الإنسان والعدل... وذلك على مستوى العالم، وهذا كله جزء من مساهمتنا فى إصلاح العالم.

المنظور الدينى للانتماء

لقد جاءت رسالات السماء كلها الرسالة الخاتمة التى دعا إليها الإسلام وكانت هذه الرسالة وموضوعها أشرف ما فى الوجود وهو الإنسان. وحين خاطبت هذا الإنسان لم تخاطب فيه مادياته. فالماديات فى حياة الإنسان وإن كانت جزءًا هامًا لكن ليس بها وحدها يكتمل بناؤه ومن ثم عمدت هذه الرسالات أول ما عمدت إلى الجانب الروحى فى هذا الإنسان. ذلك لأن كيانه المادى تحفزه لاستكمال طاقاته واحتياجاته أمور شتى فى كيانه المادى نفسه. أما الجانب الروحى الذى يبنى فيه الانتماء بكل معناه. فذلك أمر يؤكد أهمية الأديان فى بناء الإنسان وبناء روحه وتأكيد انتمائه.

فإذا اتجهت الإنسانية بكل طاقاتها للبناء المادى وحدة فسوف يكون من ثمار ذلك ما تعانى منه الإنسانية اليوم من الفزع والخوف والروع والتخريب والتدمير. أما يوم أن تكون القيم وفى مقدمتها الانتماء، وهو ما تسعى الأديان لتأصيله ويشد أزره ويكون عونًا لهذا البنيان المتكامل ـ فبواسطة الانتماء يستطيع الإنسان أن يبنى وأن يضع اللبنة التى يتكون منها البناء اللبنه القوية، والتى إذا وضعت كان هذا البناء قويًا لا يتأثر ولا يقف فى طريقه إلى إيمانه وطموحاته أى عقبات.

رأى الدين فى الحب والانتماء

إن الإسلام حث على الحب والانتماء إلى عقيدته وحبه لها. وحب الله ورسوله تعتبر من مظاهر إيمان المسلم بعقيدته وبالله عز وجل.

ومحبة الرسول واجبة بالكتاب والسنة وقال تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [سورة التوبة الآية ٢٤].

وقال ﷺ من حديث صحيح «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين».

وحث ورغب الدين الإسلامى على الحب فى القول والفعل والعفو عند المقدرة وقد حث على الانتماء أيضًا ورغب فيه بدخول الجنة «ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون».

وقد شرع الحب بين المؤمنين فقد قال ﷺ «كان الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه».

والحب لا يقتصر فقط فى الإسلام على حب الزوج لزوجته بل علمنا رسول الله ﷺ حبه لأحفاده الحسن والحسين وتحصينهما من الحسد والشيطان وتدليلهم وفى قوله ﷺ فى أسامة بن زيد والحسن بن على «اللهم إنى أحبهما فأحبهما».

الانتماء الدينى من أقوى الانتماءات:

خلال سنوات التكوين الأولى ينمو لدى الطفل الإحساس بالانتماء الدينى وهو قضية ثقافية حساسة تتوقف فاعليتها على الزمان والمكان أى على المستوى الاجتماعى والوعى الفكرى فى المجتمع الكبير والصغير وغالبًا ما تتشكل فى البيت خصوصًا إذا كان الوالدان متدينين فيحرصان على تلقين الطفل فروض العبادة من الصلاة والصوم. فتعليمه تدريجيًّا النصوص الدينية وتحفيظه لها، فيتبلور إحساسه الدينى وفق مداركه ومراحل نموه وظروف نشأته، وينتج عن ذلك ردود أفعال تجاه الحياة والناس لا حصر لها. وفى مصر مثلا يكاد يكون الانتماء الدينى من أقوى الانتماءات أو المكونات الرئيسية فى بنية المشاعر الاجتماعية من منطلق المفهوم السائد. وهو أن الدين مرتبط بكل أمور الحياة الدنيا والآخرة. ومن هنا فالمؤسسات الدينية فاعلة ومؤثرة فى المجتمع، وتعمل هذه المؤسسات بالتالى على نشر وتعميق الانتماء الدينى؛ وذلك بخلاف دول الحضارة الغربية التى حسمت هذه القضية مع انتشار قيم عصر النهضة وفصل الدين عن الدولة الذى جعل الذين لديهم قضية شخصية وليس اجتماعية، كما جعل من غير اللائق الاستفسار عن ديانة جار أو صديق أو زميل فى العمل؛ إذ يوجد فى المجتمعات الأوروبية مثلًا متدينون ينتمون إلى كل دين أو عقيدة ويذهبون إلى دور

العبادة؛ لكن على كل طريق كل واحد وشأنه، لا يتم تدريس الدين فى المدارس التى تنفق عليها الدولة؛ أى أن الأديان موجودة ولكنها مثل الجزر المعزولة، ولذا فإن المشاعر الدينية الجماعية لا تؤدى إلى ثورات أو حروب، ومن هذه القيم المستقرة لدى الغرب وعلى رأسها العقلانية وأن الدين مسألة شخصية، تشكل شخصية المواطن وتعمق فكرة المواطنة. وهناك لا يسجل دين المواطن فى أى وثيقة رسمية مثل البطاقة الشخصية أو جواز السفر أو عند التقدم للعمل، ضمانًا للمساواة فى التعامل دون قهر لجماعة بشرية وإمعانًا فى تحاشى الصدام فى الخلافات الدينية أو المذهبية وكلما زاد رقى الدولة ـ أى دولة ـ كان الإحساس بالمشاعر الجماعية بسبب الدين أمر غير مؤثر فى الاستقرار بل ربما كان أحد ركائزه. ولأن الدين ـ أى دين ـ يعطى الإحساس بالطمأنينة والراحة الداخلية ويلبى الاحتياجات الروحية والوجدانية للفرد، فقد يكون الدين مرتبطًا بالانتماء القبلى ويفيده بل ويقويه، وقد يكون مرتبطًا بالانتماء الوطنى بل قد يكون بديلا عنه ذلك أن الدين يعطى صاحبه بجوار الانتماء الروحى الإحساس بالتميز والتفاخر أى أنه أفضل من الآخر. وفى منطقتنا العربية كانت البداية مع الديانة اليهودية، حيث أصحابها وحدهم ـ شعب الله المختار ـ كما اعتقدوا، وترسخت فى وجدان كل يهودى هذه العبارة وكأنها هى الأسمنت الرابط لكل حبيبات الرمل من البشر المنتمين لليهودية فى أربعة أركان الأرض حتى وأن كان الفرد غير متدين أصلًا، وما الصهيونية إلا حركة جمعت هذه المشاعر الإنسانية نحو أفراد تشتتوا وعاشوا لقرون فى دول مختلفة تسود فيها لغات وأديان أخرى لكى يكونوا (دولة إسرائيل) وتحول الانتماء الدينى ليكون انتماء وطنى وأمكن أن تكون إسرائيل حقيقة واقعة على الرغم من ما هو معروف من أن اليهود بشكل عام ليسوا فى مجموعهم شعبًا متدينًا ولكن الانتماء الدينى قد حولهم من أفراد متناثرين لقرون طويلة إلى شعب من خلال تماسك وقوة المشاعر الجماعية التى التفوا حولها فشجع هذا النموذج مجموعات أخرى للتشبك بهم ليحولوا الانتماء الدينى إلى أمة أو قومية أو دولة. كما خلق هذا النموذج بما انطوى إليه من تناقض حيث تحكم النصوص الدينية والرؤى المتزمته لها الدولة فى حين يقال أن إسرائيل دولة على الطراز

الغربى العقلانى الديموقراطى إلا أن خلق هذا النموذج سيظل خالقًا صراعات فى المنطقة لم تهدأ.

الإسلام وتعزيز قيم الانتماء

الانتماء الدينى أساسة الحفاظ على المجتمع وتشييد دولته فى إطار دستور أخلاقى يدعو إلى المساواة وفقًا لمعايير الاجتهاد فالكل يعمل ويبدع ويذلل الصعاب فى ظل تراحم دينى ومبادئ أخلاقية وضمير جماعى وكأن يد الله معهم فهؤلاء يزكيهم الله فى قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ ومن ثم فأن مبايعة الله ودينه ومبادئه التى أرساها فى كتابه الحكيم وأوصى بها أنبيائه جميعهم، ونبى الأمة محمد ﷺ فى السنة النبوية فالتوعية الدينية السليمة تحفز الشباب دائمًا على العمل وتحمل المسئولية والكفاح من أجل البناء لا الهدم. وهذا يأتى من خلال إفساح الطريق لشبابنا للتعبير عن أفكارهم بشأن المستقبل ومن هنا فإن تعزيز قيم الانتماء يبدأ بالانتماء إلى الذات الإلهية ومعرفة حدود العقيدة ومبادئها السامية والعمل من أجل الحفاظ عليها لا من أجل طمسها أو البعد عن القيم الدينية والخلقية مما يؤدى إلى طمس معالم الهوية وتشتييت الذات وبالتالى تضمر فضيلة الانتماء للعقيدة وللمبدأ أو للذات ومن ثم المجتمع. وكما أننا لا نستطيع أن ننكر دور الدين فى حث الشباب على الانتماء إلى الوطن والانتماء إلى الآخرين وذلك من خلال قول الرسول ﷺ «حب لأخيك ما تحب لنفسك». وأيضًا لا نستطيع أن ننكر دور المساجد والكنائس فى حث الشباب من أجل النهوض بالوطن.

والإسلام ليس كغيرة من الأديان السماوية السابقة التى فصلت بين أمور الدين والدنيا والعبادة ووسائل الحكم وتدبير المصالح الدنيوية للناس جميعًا. إنما جاء الإسلام بالنظام الأمثل الذى يجمع بين الدنيا والدين فى أن واحد فهو كما يحدثنا عن الأمور التى تتعلق بالعقيدة وما يجب لله وصفاته والرسل والأنبياء والبعث وأحوال الدار الآخرة كذلك عن الخلافة والرئاسة وقواعد الحكم وعن العلاقة بين الأفراد والجماعات والدول بعضها ببعض بل أنه يضع القواعد والنظم والقوانين التى تهيمن على هذه العلاقات وتحكمها لا فرق بين جنس وجنس وأمة فالإسلام دين الإنسانية

جميعًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها والقرآن الكريم صريح فى أنه الدين العالمى وذلك حيث يقول مخاطبًا رسوله العظيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ٥٨].

فلا بد من إقامة علاقات وصلات بين المسلمين وغير المسلمين وتحدد كيف يتم تنظيم هذه العلاقات وهذا يعنى أن الأمة الإسلامية تكون يد واحدة فى كل الأمور كما قال تعالى ﴿قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٨١] وهذه الآية دليل على انتماء للجماعات والأفراد بعضهم ببعض واتفاقهم وحرصهم على مصالح بعضهم البعض.

وقال تعالى أيضًا: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [سورة البقرة: ١٤٤].

كما أن الصلاة لا تصلح إلا إذا ولى المسلم وجهه شطر القبلة التى يولى باقى المسلمون المصلون، ومعنى ذلك أن لا بد أن يلتزم المسلم بأحكام جماعة المسلمين طالما أنه أرتضى أن ينتمى إليهم.

كما حث الإسلام على العمل على روح التعاون فى المجتمع والإحساس بالآخر حيث قال ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة التوبة: ١٠٣].

وقال أيضًا ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ٦٠]. ويعنى هذا الأخذ من مال المسلمين وإعطاء المسلمون غير القادرين على مطالب الحياة.

وقال أيضًا ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: ٣]. وهذا معناه أن الفرد الواحد يحرص على مصلحة الجماعة.

وقال تعالى ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [سورة هود: ٦١] وقال أيضًا ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [سورة الأعراف: ٥٦] وهذا معناه تعاون بنى الإنسان فهناك تعاون على الخير وهناك تعاون على الفساد والتعاون مؤشر من مؤشرات الانتماء.

وقال أيضًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [سورة الرعد: ١١] وهذا دليل على وجود الناس أقوام والقوم هو المجتمع.

وقال تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ﴾ [سورة المائدة: ٧٧] وقال أيضًا ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [سورة عمران: ١١٠] وقال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [سورة البقرة: ١٤٣].

وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ [سورة الحجرات: ١٣] وقال أيضًا ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [سورة المائدة: ٢].

هناك أيضًا الأحاديث النبوية الشريفة التى ذكرت ما يؤدى إلى الانتماء والتعاون والحب والالتزام بقوانين الجماعة الإسلامية.

وأيضًا عن الخزاعى ﷺ قال رسول الله ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» معنى ذلك أن المسلم لا يكون مؤمنًا إلا إذا أحسن إلى جاره لأن جبريل عليه السلام وصى الرسول ﷺ بالجار حتى ظن الرسول أنه سيورثه حيث قال ﷺ «ما زال جبريل يوصينى بالحار حتى ظننت أنه سيورثه» صدق رسول الله فيجب على من ينتمى لجماعة المسلمين أن يكرم ضيفه بالمقابلة والطعام وهذا ما كان يفعله الأنبياء من قبل ويجب إتباع سنن الأنبياء فى كل شىء.

عن عمر ابن شعيب عن أبيه عن جده ﷺ قال (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا) وتفسير هذا الحديث ليس من جماعة المسلمين من لا يرحم الطفل الصغير ويعطف عليه ويعرف شرف الكبير ويقدره ويحترمه وهذا من شروط الانتماء لجماعة المسلمين ومن يرتضى هذه الشروط ينتمى لهذه الجماعة ويحافظ على مصالحها.

وحديث الرسول ﷺ «من غشنا فليس منا» ومعنى هذا الحديث أنه من لم يلتزم بقوانين الجماعة الإسلامية وشروطها لا ينتمى إليهم لأن ذلك يخالف تعاليم الإسلام.

ومن الآيات التى تتضمن التعاون والجماعية أيضًا وهما من قيم الانتماء قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣].

وقوله تعال: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [سورة المائدة: ٢].

والانتماء يؤكد على الشورى، حيث احترام الرأى والرأى الآخر وتوجد آيات كريمه تحث على ذلك منها: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى: ٣٨].

والاستقامة حياة الأفراد وتماسكهم، وقوة المجتمع ووحدته وتقدمه ويحث القرآن الكريم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويكفى فى ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].